- يعد التأويل نموذجا طاغيا على الفكر العالمي، فلم يعد محصورا في الثقافة الغربية فحسب، بل تراه يخيم على الأجواء العربية منذ القديم، و لم يعد محصورا أيضا في الفروع المعرفية المختلفة كالأدب و الحقوق و الفلسفة...، بل أصبح عالميا، يخص التجربة الإنسانية في عمومها، و نظرا لاتساع مجاله تعددت المصطلحات الدالة عليه، و من ثم تعددت تعريفاته، فقد شاعت في هذا المجال اصطلاحات كثيرة كالهرمينوطيقا، و التأويل و التفسير و التأويلية أو النظرية التأويلية، و هذا ما ساهم بشكل كبير في خلق التذبذب على مفاهيم كل من هذه المصطلحات، فمن الدارسين من استعملها للدلالة على معنى واحد، و الصواب أن كلا منها دال لمدلول معين، و مهما تكن طرق التأويل و وسائله، و مهما اختلف الدارسون في وضع تعريف منهجي له، فإن الهدف من ورائه واحد، و هو الكشف عن المعاني.

- كانت انطلاقة علم الصرف انطلاقة متعثرة شابها كثير من الخلط، فكثيرا ما تناثرت مسائله ضمن المسائل النحوية، و حتى الصوتية، و كثيرا ما زاحمه في الاستعمال اصطلاحا التصريف و الاشتقاق، فكانا عنوانا لكثير من المصنفات التي أسست لهذا العلم، و على الرغم من اتساع دائرة الاستقلال في التأليف الصرفي في مرحلة الاكتمال على نحو ما فعل المازني والفارسي وابن جني فإن اتجاه سيبويه في التصنيف بقي موجوداً، واستمر الخلط في كثير من المؤلفات بين النحو والصرف، وبقي إلحاق المباحث الصرفية بمباحث النحو مستمراً، و لعله الأمر الذي جعل مفهوم التأويل في العلمين واحدا.

- كان علم الصرف و لا يزال أقل علوم اللغة حظا من الإجادة و حسن النظر، على الرغم مما له من دور كبير في حفظ اللسان من اللحن، و على الرغم أيضا من أن الخطأ في الأبنية الصرفية أو الاشتقاقات لا يقل خطورة عن الخطأ في الأصوات أو التراكيب أو إعراب المفردات، إذ يقف علم الصرف إلى جانب علوم اللغة الأخرى لصون القلم واللسان عن الخطأ في صوغ المفردات، وفي النطق بها طبقاً لما نطقت

به العرب، وفي معرفة قواعد هذا العلم الكلية، وضوابطه الجامعة التي تؤلف بين أشتات اللغة، وتلم شعثها، و تغني الدارس لحد ما عن البحث في المعاجم.

- يساند القواعد الصرفية في شقيها التصريفية و الاشتقاقية فعلُ التأويل، حيث يتم تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لاختلاف المعاني كالتصغير والنسب والتكسير واسمي الفاعل والمفعول والتثنية والجمع وإسناد الأفعال إلى الضمائر، إضافة إلى التوسع في الأساليب العربية، فعلم الصرف محتاج إلى التأويل في بحثه عن العلاقة بين الكلمات واشتراكها في معنى معين، و إذا كان التصريف هو تغيير الكلمة من وزن إلى وزن آخر، فإن التأويل هو أداة الربط بين هذه الأوزان على اختلافها، و سبيل التوسع في كل منها بمعنى يميزها عن غيرها، حيث إنه وسيلة الباحثين للإبقاء على وجه الائتلاف، و خلق الاختلاف – في الوقت نفسه- بين الأبنية الصرفية.

- الاشتقاق هو أحد خصائص اللغة العربية، بل أهم خصائصها، وهو وسيلة مهمه فى نموها، فاللغه العربية هى لغه اشتقاقية من الدرجة الأولى، والاشتقاق هو توليد لبعض الألفاظ من بعض، و الرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحى بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد، عن طريق فعل التأويل.

- بالغ نحاة العربية في التزام القياس و تطويع اللغة له، حتى خرج بعضهم على طبيعة الأشياء، و كادوا ينسون أن القياس مستنبط من اللغة، و أن اللغة لا تبنى على قياس مخترع، كما تتبعوا في وضع قواعدهم استقراء ناقصا، لم يعتمد على خطة محكمة، فتراهم يهملون الاحتجاج ببعض القراءات، أو الأحاديث النبوية الشريفة، و يذهبون للاستشهاد بأشعار العرب و كلامهم المنثور، و كأن هذا الأخير أفصح من شواذ القراءات، أو مما يروى من أحاديث و إن لم تكن بلفظ الرسول، و مرد ذلك إلى أن أحكام النحو و معانيه سبيلها في الأغلب الأعم سبيل المنطق و معانيه، فالنحو يستهل حياته بأن يعزز الاستعمال بالصواب المنطقي، و يجري المعاني المنطقية على الصورة اللغوية، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يقع أسيرا للمنطق و أحكامه.

- يختلف مفهوم التأويل في الدراسات العربية من مجال إلى آخر، فإن اشتركت جميعا في معناه اللغوي الذي هو الرد إلى الأصل، فإن الأصل في كل منها مختلف، فهو عند علماء البيان و المفسرين يعني المعنى الباطن أو القصد، أما عند النحاة فإن الأصل هو التركيب الذي يوافق القاعدة النحوية.

- يبحث التأويل فى ترتيب الجملة وقواعدها ووظيفتها، خاصة فى إعرابها، و قد يكون بالحذف أو بالزيادة أو بغيرها، و هو ما حمل النحاة إلى تبين ما تصرف به المتكلم في الجملة، على اعتبار أنه مستعمل خبير يسعى إلى نقل الأفكار بأقل الألفاظ، معتمدا في ذلك على المستمع.

- يسمى التأويل مجازا وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة كما في الإستعارة، أو غير المشابهة كما في المجاز المرسل، و مدار التأويل في هذا العلم على التراكيب التي تختزن طاقة إبداعية تجلت في مجموعة من الخصائص الفنية والأساليب البلاغية التي اضطلع الشعراء باستخدامها، كالحذف البلاغي، و الأمر و النهي، و التشبيه و الطباق، و الالتفات...، و التي تكسب الكلام قيمة تعبيرية تجعله لا يستغني عن التأويل، فالتأويل في اللغة العربية قضية لا يستهان بها، و إذا لم يكن لأحد معرفة به، فليس له حظ في معرفة اللغة العربية، بل يتحتم عليه سوء الفهم لها.

- التأويل منهج عقلي لا يكتفي من الألفاظ بمعانيها الوضعية، و إنما ينظر إليها في سياق التركيب، و ينفذ إلى أعماقها، محاولا استخراج ما في معانيها من مخبوء، و في علاقتها مع غيرها في التركيب من إيحاء، و كأن التأويل إعادة صياغة للنص و الكلام، يقوم بها قارئه أو سامعه، و تتباين التأويلات وفق طبيعة المؤول و ثقافته و اتجاهه؛ لأنها محاولة لفهم النص أو الكلام، و هما لغة يفهمها السامع أو القارئ بمعاييره الخاصة.

- يتخذ التأويل في القرآن الكريم دلالة تستمد أصلها في اللغة من معنى "الصيرورة والرجوع والعاقبة، "وتتشعب داخل سياقات نصوص القرآن؛ لتشمل معاني جزئية تؤول إلى معنى" التحقق والعاقبة والمآل، و أهم ما ميز هذا المصطلح في القرآن كونه مصطلحا قليل الورود، محدود الأبعاد، لكنه مع ذلك يتبوأ موقعا بين المفاهيم القرآنية التي تتعاضد معه لتجعل النص القرآني بنية لغوية محتاجة إلى فكر ثاقب، ومن هذه المفاهيم: الناسخ و المنسوخ، و الظاهر و الباطن...

- يتسع هذا المنهج في فهم النصوص ليشمل طريقة أصحاب العقائد في تفسير القرآن و الحديث، و ليضم أولئك النقاد و البلاغيين الذين أرادوا معرفة أسرار البلاغة، و دلائل إعجاز القرآن، و جماليات اللغة العربية، فعلى الرغم من اختلاف الأغراض التي تأولوا بها النص فقد اتفقت طرائقهم، أو كادت تكون، و هي تقوم على التأويل للغوص في أعماق المعاني، و استجلاء جوهر النص، و معرفة أسراره و خفاياه.

بعد مجموع النتائج التي تقدم ذكرها يمكن اعتبار العربية لغة تأويلية من الدرجة الأولى، كيف لا و هي التي تحتكم إلى التأويل في جميع مستوياتها، فترد إليه كل ما من شأنه أن يلبس التراكيب أو القواعد التي انبت عليها شيئا من التعارض أو التعقيد، و تجعله بوابة الولوج إلى المعاني التي قصدها المتكلم، من خلال رد التعابير إلى صورها الأولى.

ذلك هو بحث (التأويل في الدراسات العربية- إشكالاته و قضاياه)، و قد حاولنا من خلاله توضيح فكرته التي انتظمت في فصول عقدناها للوصول إلى ما تصورناه بادئ الأمر، و اتخذناه غاية و هدفا، فإن أصاب البحث، ببلوغ الغاية، فبتوفيق من الله العلي القدير، و إن لم يصب فمن أنفسنا و الشيطان.

و الله الموفق